الجزء الثالث

من تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل تأليف
الامام العلامة قدوة الامة وعلم الائمة ناصر الشريعة ومحيي السنة
علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم البغدادي الصوفي المعروف
بالخازن تغمده الله برحمته آمين

وبهامشه تفسير الشيخ الاكبر العارف بالله تعالى العلامة محيي الدين
ابن العربي اعاد الله علينا من بركاته آمين

طبعه حسن حلمي الكتبي و محمد حسن جالي الحلبي برخصة نظارة
المعارف التي لابدّ منها في سنة سبع عشرة وثلاثمائة والف

(فهرست الجزء الثالث من تفسير القرآن الجليل للامام على بن محمد الخازن)

والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه مايريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت به امر الرخاء فرت به شهرا فى روحته وشهرا فى غدوته الى حيث اراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذى طائرا قال وهب ذكر لى ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان اما من الانس او من الجن نحن نزلناه ومابنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فنازلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من ذهب وفضة تقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لاتقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبى الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجرى بامره كيف شاء فكان يغدو من ايلياء فيقيل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببابل وروى ان سليمان سار من ارض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض السند وجاوزها وخرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها اياما وغدا منها فقال بكسكر ثم راح الى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفى ذلك يقول النابغة

الا سليمان اذ قال المليك له ＊ قم فى البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجن انى قد اذنت لهم ＊ يبنون تدمر بالصفاح والعمد

＊ قوله عز وجل ﴿ ومن الشياطين ﴾ اى وسخرنا له من الشياطين ﴿ من يغوصون له ﴾ اى يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر ﴿ ويعملون عملا دون ذلك ﴾ اى دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل الآية ويتجاوزون فى ذلك الى اعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك ﴿ وكنا لهم حافظين ﴾ اى حتى لايخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ماعملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا فى النهار وفرغ قبل الليل افسدوه وخربوه قيل ان سليمان كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ماعمل ويخربه ＊ قوله تعالى ﴿ وايوب اذ نادى ربه ﴾ اى دعا ربه

﴿ ذكر قصة ايوب عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه كان ايوب رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم وكانت امه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونبأه وبسط له الدنيا وكانت له البثنية من ارض البلقاء من اعمال حوارزم مع ارض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من اصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير مالا يكون لرجل افضل منه فى العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة

اذا صارت مأسورة فى اسر الهوى منقادة لسلطان التخيل مستسلمة للردى ولا طريق الا خرق الطبيعة الجسدانية بمبرد المجاهدة واحراقها بنار الرياضة ونسفها برياح نفحات الرحمة الالهية التى اذا هبت بها لاشئ فى يم الهيولى الجرمية لاحياتها ولا حراك بعد تغير القوة العاقلة بعد متابعتها للقلب ومشايعتها للسر فى التوجه ووجود موافقتها للقوى فى الميل الى الطبيعة والاخذ برأسها الى جهتها العادية التى تلى الروح بتأثير النور فيه حتى تفعل وتتأثر بشعاع القدس ونور الهداية الحقانية ولحيتها التى هى الهيئة الذكورية وصورة التأثير فيما تحت اى جهتها السفلية التى تلى القوى النفسانية وجرها اليه اى الجهة العلوية وجناب الحق وعالم القدس الذى هو فيه فتتقوى بالايد الالهى والقدرة الربانية وجولانها فؤثر فيها وتطوعها بامر الحق لها وللقلب ويستخلصها من قهر التخيل والوهم واعتذار هرون اشارة الى ان العقل غير المتنور بنور الهداية المتأيد بامر الشريعة

وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان اتان لكل اتان من الولد اثنان او ثلاثة او اربع او خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد اعطاه اهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الايتام والارامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله ابليس ان يصيب منه ما يصيب من اهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن امر الله بما هو فيه من امر الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من اهل اليمن يقال له الفر وقيل نفير ورجلان من اهل بلده يقال لاحدهما تلدد والآخر صافر وكان لهؤلاء مال وكان ابليس لايحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما اراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن اربع فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها الا من استراق السمع فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على ايوب وذلك حين ذكره الله واثنى عليه فادركه ابليس الحسد والبغى فصعد سريعا حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال الهى نظرت فى امر عبدك ايوب فوجدته عبدا انعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما اعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله ابليس حتى وقع على الارض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال ايوب وهى المصيبة الفادحة والفتنة التى لاتصبر عليها الرجال قال عفريت من الشياطين اعطيت من القوة ما اذا شئت تحولت اعصارا من نار فاحرق كل شئ آتى عليه قال ابليس اذهب فات الابل ورعاتها فاتى الابل حين وضعت رؤسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الارض اعصار من نار فاحرق الابل ورعاتها حتى اتى على آخرها ثم جاء عدو الله ابليس فى صورة قيم ممن كانوا عليها على قعود الى ايوب فوجده قائما يصلى فقال يا ايوب اقبلت نار حتى غشيت ابلك واحرقتها ومن فيها غيرى فقال ايوب بعد ان فرغ من الصلاة الحمد لله هو اعطانيها وهو اخذها ولنها مال الله اعارنيها وهو اولى بها اذا شاء نزعها قال فتركت الناس مبهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ماكان ايوب يعبد شيا وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لوكان اله ايوب يقدر على ان يصنع شيأ لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل مافعل ليشمت به عدوه ويفجع صديقه فقال ايوب الحمد لله حين اعطانى وحين نزع منى عريانا خرجت من بطن امى وعريانا اعود الى التراب وعريانا احشر الى الله عزوجل ليس ينبغى لك ان تفرح حين اعارك وتجزع حين قبض عاريته الله اولى بك وبما اعطاك ولو علم الله فيك ايها العبد خيرا لنقل روحك مع تلك الارواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرا فاخرك فرجع ابليس الى اصحابه خاسئا ذليلا فقال ماعندكم من القوة فانى لم اكلم قلبه قال عفريت من الجن عندى من القوة ما اذا شئت صحت صيحة لايسمعها ذو روح الاخرجت روحه قال ابليس فات الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم صاح صيحة فجثمت امواتا من عند آخرها ومات رعاتها فجاء ابليس متمثلا بقهرمان الرعاة الى ايوب فوجده يصلى فقال له مثل القول الاول فرد عليه ايوب مثل الرد الاول فرجع ابليس الى اصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم اكلم قلب ايوب فقال عفريت عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا

لايقدر ان يحافظ القوى ويساعد التخيل والهوى ولايزيدها الا التفرقة الموقعة فى الردى وعند استيلاء نور القلب والعقل وقهر الطبيعة بالكلية وحصول الاستقامة فى الطريقة يخرك التخيل وينعزل ولايقدر ان يماس شيأ من القوى بتخيله ولايقاربه قوة منها بقبول تسويله فيصير ملعونا مطرودا فيقول لامساس وله موعد اى حد ورتبة لايجد خلفا فيه ولايتجاوز فيترأس ويستولى ويروج اكاذيبه وغلطه بالمعقولات ويتفقه فى المرادات وذلك مقام الاستقامة الى الله والقيام بحقائق العبودية لله ولاتنجلى ناصية التوحيد ولايحصل مقام التجرد والتفريد الا به ولذلك عقبه بقوله (وان لك موعدا لن تخلفه وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا انما الهكم الله الذى لااله الا هو) اذ يكون السالك قبل ذلك مصليا الى قبلتين مترددا فى العبادة بين جهتين متخذ الالهين (وسع كل شئ علما) اى يتحقق هناك التوحيد بالعقل وتظهر

عاصفة تنسف كل شيء تأتى عليه قال فات الفدادين فى الحرث والزرع فانطلق بؤبهم وذلك حين شرع الفدادون فى الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصفة فنسفت كل شيء من ذلك حتى كانه لم يكن ثم جاء ابليس متمثلا بقهرمانهم الى ايوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فرد عليه ايوب مثل رده الاول وجعل ابليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى الى هلاك مال من امواله حمد الله واحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما راى ابليس انه قد افنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعا حتى وقف فى الموقف الذى يقف فيه وقال الهى ان ايوب يرى انك مامتعته بولده فانت معطيه المال فهل انت مسلطى على ولده فانها المصيبة التى لاتقوم لها قلوب الرجال قال الله عزوجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى اتى بنى ايوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه عليهم وصاروا منكسين وانطلق الى ايوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فاخبره وقال لو رايت بنيك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رؤسهم تسيل دماؤهم وادمغتهم ولو رايت كيف شقت بطونهم فتناثرت امعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق ايوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على راسه وقال ياليت امى لم تلدنى فاغتنم ابليس ذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع ايوب مسرورا به ثم لم يلبث ايوب ان فاء وابصروا استغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته الى الله وهو اعلم فوقف ابليس خاسئا ذليلا وقال الهى انما هون على ايوب المال والولد انه يرى انك مامتعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل انت مسلطى على جسده فقال الله عزوجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله اعلم به ولم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتاسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله ابليس سريعا اليه فوجد ايوب ساجدا فعجل قبل ان يرفع راسه فاتاه من قبل وجهه فنفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدمه ثآليل مثل اليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه وتقطع وتغير وانتن فاخرجه اهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امراته وهى رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف اليه بما يصلحه وتلزمه فلما راى الثلاثة من اصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير ان يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق اليه اصحابه فبكتوه ولاموه وقالوا تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به قال وحضر معهم فتى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى انكم تكلمتم ايها الكهول وانتم احق بالكلام منى لاسنانكم ولكن تركتم من القول ماهو احسن من الذى قلتم ومن الراى اصوب من الذى رايتم ومن الامر اجمل من الذى اتيتم وقد

احاطة علمه بكل شيء وحدوده وغاياته فتقف كل قوة بنور الحق وقدرته على حدها فى عبادته وطاعته عائذة به عن حولها وقوتها عابدة له بحسب وسعها وطاقتها شاهدة اياه مقرة بربوبيته بقدر ما اعطاها من معرفته . مثل ذلك القصص (كذلك نقص عليك من انباء ما قد سبق) من احوال السالكين الذين سبقوا ومقاماتهم لتثبيت فؤادك وتمكينك فى مقام الاستقامة كما امرت (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) اى ذكرا ما اعظمه وهو ذكر الذات الذى يشمل مراتب التوحيد (من اعرض عنه) بالتوجه الى جانب الرجس وحيز الطبع والنفس (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) الصغرى وزر الهيات المثقلة الجرمانية واثام تعلقات المواد الهيولانية (خالدين فيه وساءلهم يوم القيامة حملا يوم ينفخ) الحياة (فى الصور) الجسمانية برد الارواح الى الاجساد (ونحشر المجرمين يومئذ) الملازمين للاجرام (زرقا يتخافتون) عميا بيض سواد العيون او شوها فى غاية قبح المناظر يحسن عندها القردة

كان لايوب عليكم من الحق والذمام افضل من الذى وصفتم فهل تدرون ايها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذى عبتم واتهمتم الم تعلموا ان ايوب نبي الله وصفوته وخيرته من اهل الارض الى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على انه سخط شيأ من امره منذ آتاه الله ما آتاه الى يومكم هذا ولا على انه نزع منه شيأ من الكرامة التى اكرمه الله بها ولا ان ايوب قال على الله غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى ازرى به عندكم ووضعه فى انفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلى المؤمنين والصديقين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لاولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانهم عليه ولكنها كرامة وخيرة لهم ولو كان ايوب ليس من الله بهذه المنزلة الا انه اخ اجتبوه على وجه الصحبة لكان لايجمل بالحليم ان يعذل اخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدله على مراشد امره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله ايها الكهول وقد كان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم تعلموا ان الله عبادا اسكتتهم الخشية من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء البلغاء النبلاء الالباء العالمون بالله ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت السنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لامر الله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم من الظالمين والخاطئين وانهم لابرار برآء ومع المقصرين المفرطين وانهم لاكياس اقوياء قال ايوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة فى قلب الصغير والكبير فاذا نبتت فى القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة واذا جعل الله العبد حكيما فى الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم اقبل ايوب على الثلاثة وقال اتيتمونى غضابا رهبتم قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف بى لو قلت تصدقوا عنى بأموالكم لعل الله ان يخلصنى اوقربوا عنى قربانا لعل الله ان يقبله ويرضى عنى وانكم قد اعجبتكم انفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم اوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله تعالى بالعافية التى البسكم وقد كنتم فيما خلا توقروننى وانا مسموع كلامى معروف حقى منتصف من خصمى فاصبحت اليوم وليس لى راى ولا كلام معكم فانتم كنتم اشد على من مصيبتى ثم اعرض عنهم ايوب واقبل على ربه مستغيثا به متضرعا اليه فقال يارب لاى شئ خلقتنى ليتنى اذ كرهتنى لم تخلقنى ياليتنى عرفت الذنب الذى اذنبت والعمل الذى عملت فصرفت وجهك الكريم عنى او كنت امتنى فالحقتنى بآبائى فالموت كان اجمل بى الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهى انا عبد ذليل ان احسنت فالمن لك وان اسأت فبيدك عقوبتى جعلتنى للبلاء غرضا وللفتنة نصيبا وقد وقع على من البلاء ما لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفى وان قضاءك هو الذى اذلنى وان سلطانك هو الذى اسقمنى وانحل جسمى ولو ان ربى نزع الهيبة التى فى صدرى واطلق لسانى حتى اتكلم بملء فى فأدلى بعذرى واتكلم ببراءتى وخاصم عن نفسى لرجوت

ان

والخائرين يسرون الكلام لشدة الخوف او عدم القدرة على النطق . يستقصرون مدة اللبث فى الحياة الدنيوية لسرعة انقضائها وكل من كان ارجح عقلا منهم كان اشد استقصارا اياها (يقولون ان لبثتم الا عشرا نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ويسئلونك عن الجبال) اى وجودات الابدان (فقل ينسفها ربى نسفا) برياح الحوادث بجاورفاتا ثم هباء منثورا فيسويها بالارض لابقية بها ولا آثار او حوادث الاشياء فقل ينسفها ربى برياح النفحات الالهية الناشئة عن معدن الاحدية (فيذرها) فى القيامة الكبرى (قاعا صفصفا) وجودا احديا صرفا (لاترى فيها عوجا ولا امتا) انيئية ولا غيرية فتقدح فى استوائها (يومئذ) يوم اذ قامت القيامة الكبرى (يتبعون الداعى) الذى هو الحق لا حراك بهم ولا حياة لهم الا به (لا عوج له) اى لا انحراف عنه ولا زيغ عن سمته اذ هو آخذ بناصيتهم وهو على صراط مستقيم فهم يسيرون بسيرة الحق على مقتضى ارادته (وخشعت

ان يعافيني عند دلك عماني ولكنه القاني وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه فلما
قال ذلك ايوب واصحابه عنده اظله غمام حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله
يقول ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا قم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن
نفسك واشدد ازارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني
الا جبار مثلي لقد منتك نفسك يا ايوب امرا ما يبلغ لمثله مثلك اين انت مني يوم خلقت الارض
فوضعتها على اساسها هل كنت معي تمد باطرافها هل علمت باي مقدار قدرتها ام على اي شئ
وضعت اكنافها ابطاعتك حمل الماء الارض ام بحكمتك كانت الارض للماء غطاء اين كنت
مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من
حكمتك ان تجري نورها او تسير نجومها او يختلف بأمرك ليلها ونهارها اين كنت مني يوم
انبعت الانهار وسكبت البحار ابسلطانك حبست امواج البحار على حدودها ام بقدرتك فتحت
الارحام حين بلغت مدتها اين كنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل
تدري على اي شئ ارسيتها ام باي مثقال وزنتها ام هل لك من ذراع تطيق حملها ام هل تدري
من اين الماء الذي انزلت من السماء ام هل تدري من اي شئ انشأت السحاب ام هل تدري اين
خزانة الثلج ام اين جبال البرد ام اين خزانة الليل بالنهار وخزانة النهار بالليل واين خزانة
الريح وباي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في اجواف الرجال وشق الاسماع والابصار
ومن ذات الملائكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق بحكمته في كلام كثير يدل
على آثار قدرته ذكرها لايوب فقال ايوب صغر شأني وكل لساني وعقلي ورأيي وضعفت
قوتي عن هذا الامر الذي يعرض على الهي قد علمت ان كل الذي قد ذكرت صنع يدك وتدبير حكمتك
واعظم من ذلك واعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شئ ولا يخفى عليك خافية الهي اوثقني البلاء
فتكلمت ولم املك نفسي فكان البلاء هو الذي انطقني ليت الارض انشقت بي فذهبت فيها
ولم اتكلم بشئ يسخطك ربي وليتني مت بغمي في اشد بلائي قبل ذلك انما تكلمت حين تكلمت
بعذري وسكت حين سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود وقد وضعت يدي على فمي
وعضضت على لساني والصقت بالتراب خدي اعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد البلاء
فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثني واستعينك على امري فاعني واتوكل عليك فاكفني
واعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن اعود لشئ تكرهه مني قال الله تعالى يا ايوب
نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك اهلك ومالك ومثلهم معهم
لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني فيك روي عن
انس يرفعه ان ايوب لبث ببلائه ثماني عشرة سنة وقال وهب ثلاث سنين لم يزد يوما وقال كعب
سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبني اسرائيل سبع سنين واشهرا
تختلف فيه الدود لا يقربه احد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بالطعام وتحمد الله
معه اذا حمد وايوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ ابليس صرخة
جمع فيها جنوده من اقطار الارض فلما اجتمعوا اليه قالوا ما اخزنك قال اعياني هذا العبد

الاصوات للرحمن) انخفضت
كلها لان الصوت صوته
فحسب (فلا تسمع الا همسا)
خفيا باعتبار الاضافة الى
المظاهر او يوم اذ قامت
القيامة الصغرى يتبعون
الداعي الذي هو اسرافيل
الملك الرابع المفيض للحياة
لا عوج له مدعو الى
خلاف ما اقتضته الحكمة
الالهية من التعلق به
وخشعت الاصوات في الدعاء
الى غير ما دعا اليه الرحمن فلا
تسمع الا همس الهواجس
والتمنيات الفاسدة و(يومئذ
لا تنفع الشفاعة) اي شفاعة
من تولاه واحبه في الحياة
الدنيا من اقتدى به وتمسك
بهدايته (الا من اذن له الرحمن)
باستعداد قبولها فان فيض
النفوس الكاملة التي تتوجه
اليها النفوس الناقصة
بالارادة والرغبة موقوفة
على استعدادها لقبوله
بالصفاء وذلك هو الاذن
(ورضي له قولا) اي رضي له
تأثيرا يناسب المشفوع له
فتتوقف الشفاعة على امرين
قدرة الشفيع على التأثير
وقوة المشفوع له للقبول
والتأثر وهو (يعلم) الجهتين
(ما بين ايديهم) من قوة
القبول بالاستعداد الاصلي

لذى لم ادع له مالا ولا ولدا ولم يزد ه الا صبرا ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه الا امرأته فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له فاين مكرك الذى اهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى ايوب فاشيروا على قالوا من اين اتيت آدم حين اخرجته من الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بايوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس يقربه احد غيرها قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة امرأة ايوب وهى تصدق فتمثل لها فى صورة رجل وقال لها اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الدود ان فى جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضر وان ذلك لا ينقطع عنه ابدا فصرخت فعلم انها قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح لى هذه ايوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك الحسن اذبح هذه السخلة واسترح قال ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك أرأيت ما تبكين عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال كم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمذ كم ابتلانا قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك ما انصفت ربك الا صبرت فى البلاء ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء ثمانين سنة والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة امرتنى ان اذبح لغير الله طعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام ان اذوق منه شيأ اعزبى عنى فلا اراك فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله وقال رب (انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل منها فلم يبق عليه من درنه ودائه شئ ظاهر الا سقط وعاد شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة فجعل يلتفت فلا يرى شيأ مما كان عليه وما كان له من اهل ومال الا وقد ضعفه الله له وذكر لنا ان الماء الذى اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فاوحى الله اليه يا ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان طردنى الى من اكله ادعه يموت جوعا ويضيع فتاكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رأت ولا تلك الحالة التى كانت تعرف واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وذلك بعينى ايوب وهابت صاحب الحلة ان تأتيه فتسأله عن ايوب فدعاها وقال ما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اردت ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على الكناسة لا ادرى اضاع ام ما فعل به فقال ايوب ما كان منك فبكت وقالت بعلى فقال هل تعرفينه اذا رأيته قالت وهل يخفى على احد رآه ثم جعلت تنظر اليه وهى تهابه ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فانى انا ايوب الذى امرتنى ان اذبح سخلة لابليس وانى اطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على ما ترين وقال وهب لبث ايوب فى البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيأ اعترض امرأته فى هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء فقال لها انت صاحبة ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفينى قالت لا قال

انا الله

وتأييد الشفيع بالنور (وما خلفهم ولا يحيطون به علما) من الموانع العاصة من جهة البدن وقواه والهيآت الفاسقة المزيلة للقبول الاصلى او المددات الحاصلة من جهتها بالتزكية على وفق العقل العملى (وعنت الوجوه) اى الذوات الموجودات باسرها) للحى القيوم) وكلها فى اسر مملكته وذل قهره وقدرته لا تحيا ولا تقوم الا به لا بأنفسها ولا بشئ غيره (وقد خاب من حمل ظلما) عن نور رحمته وشفاعة الشافعين من ظلم نفسه بنقص استعداده وتكدير صفاء فطرية فزال قبوله للنور باسوداد وجهه وظلمته (ومن يعمل من الصالحات) بالتزكية والتحلية (وهو مؤمن) بالايمان التحقيقى (فلا يخاف ظلما ولا هضما) ان ينقص شئ من كمالاته الحاصلة ولا ان يكسر من حقه الذى يقتضيه استعداده الاصلى فى المرتبة (وكذلك انزلناه قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون) بالتزكية (او يحدث لهم ذكرا) بالتحلية (فتعالى الله الملك الحق) تناهى فى العلو

انا اله الارض وانا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركنى فاغضبنى
ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل ما كان لكما من مال وولد فانه عندى
ثم اراها اياه ببطن الوادى الذى لقيها فيه وفى بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدى لى
سجدة واحدة حتى ارد عليك المال والولد واعافى زوجك فرجعت الى ايوب فاخبرته بما قال
لها وما اراها قال لقد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك ثم اقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة
وقال عند ذلك مسنى الضر من طمع ابليس فى سجود حرمتى له ودعائه اياها واياى الى الكفر
ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة ايوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها واراد ان يبر يمين
ايوب فامره ان يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال
مسنى الضر حين قصد الدود الى قلبه ولسانه فخشى ان يفتر عن الذكر والفكر وقيل لم يدع الله
بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة اشياء احدها ماقيل فى حقه لو كان لك عند الله منزلة
ما اصابك هذا والثانى ان امرأته طلبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذؤابتها واتته بطعام
والثالث قول ابليس انى اداويه على ان يقول انت شفيتنى وقيل مسنى الضر اى من شماتة
الاعداء حتى روى انه قيل له بعد ما عوفى ما كان اشد عليك فى بلائك قال شماتة الاعداء فان
قلت كيف سماه الله صابرا وقد اظهر الشكوى والجزع بقوله مسنى الضر وقوله مسنى الشيطان
بنصب وعذاب قلت ليس هذا شكاية وانما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى
انما تكون الى الخلق لا الى الخالق بدليل قول يعقوب انما اشكو بثى وحزنى الى الله وقال سفيان
بن عيينة من اظهر الشكوى الى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما روى
ان جبريل عليه السلام دخل على النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه فقال كيف تجدك قال
اجدنى مغموما واجدنى مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه بل انا وارأساه * قوله
تعالى (فاستجبنا له) اى اجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) وذلك انه قال له اركض برجلك
فركض برجله فنبعت عين ماء فامره ان يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى
اربعين خطوة فامره ان يضرب برجله الارض مرة اخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فامره
ان يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان (وآتيناه اهله ومثلهم
معهم) قال ابن مسعود وابن عباس واكثر المفسرين رد الله اليه اهله واولاده باعيانهم
احياهم الله واعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية اخرى ان الله رد
الى المرأة شبابها فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن انس
رفعه انه كان له اندر ان اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله سحابتين فافرغت احداهما على
اندر القمح الذهب وافرغت الاخرى على اندر الشعير الورق حتى فاضا وروى ان الله تعالى
بعث اليه ملكا وقال له ان ربك يقرئك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج اليه فارسل الله
عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له الملك ما يكفيك ما فى اندرك
فقال هذه بركة من بركات ربى ولا اشبع من بركاته (خ) عن ابى هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثى فى ثوبه
فناداه ربه يا ايوب الم اكن اغنيتك عما ترى قال بلى يارب ولكن لا غنى لى عن بركتك وقيل

والعظمة بحيث لا يقدر قدره
ولا يقدر امره فى ملكه الذى
يملوكل شئ ويصرفه بمقتضى
ارادته وقدرته وفى عدله
الذى يوفى كل احد حقه
بموجب حكمته (ولا تعجل
بالقرآن) عند هيجان
الشوق لغاية الذوق بتلقى
العلم اللدنى عن مكمن الجمع
(من قبل ان يقضى اليك
وحيه وقل رب زدنى علما)
ان يحكم بوروده عليك
ووصوله اليك فان نزول
العلم والحكمة مترتب
بحسب ترتب مراتب ترقيك
فى القبول ولا تفتر عن الطلب
والاستفاضة فانه غير متناه
واطلب الزيادة فيه بزيادة
التصفية والترقى والتحلية
اذ الاستزادة انما تكون بدعاء
الحال ولسان الاستعداد
لا باستعجال الطلب والسؤال
قبل امكان القبول وكلما
علمت شيأ زاد قبولك لما هو
اعلى منه واخفى وقصة آدم
وتأويلها مرت غير مرة
ولقد عهدنا الى آدم من قبل
فنسى ولم نجد له عزما واذ
قلنا للملائكة اسجدوا
لآدم فسجدوا الا ابليس
ابى فقلنا يا آدم ان هذا
عدو لك ولزوجك فلا
يخرجنكما من الجنة فتشقى

آتى الله ايوب مثل اهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لايوب ان اهلك فى الآخرة فان شئت عجلناهم لك فى الدنيا وان شئت كانوا لك فى الآخرة وآتيناك مثلهم فى الدنيا فقال بل يكونون لى فى الآخرة واوتى مثلهم فى الدنيا فعلى هذا يكون معنى الآية وآتيناه اهله فى الآخرة ومثلهم معهم فى الدنيا واراد بالاهل الاولاد (رحمة من عندنا) اى نعمة (وذكرى للعابدين) اى عظة وعبرة لهم * قوله عز وجل (واسمعيل) هو ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم (وادريس) هو اخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) لما ذكر الله امر ايوب وصبره على البلاء اتبعه بذكر هؤلاء الانبياء لانهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة ايضا اما اسمعيل صلى الله عليه وسلم فانه صبر على الانقياد الى الذبح واما ادريس فقد تقدمت قصته واما ذو الكفل فاختلفوا فيه فقيل ان نبيا من بنى اسرائيل وكان ملكا اوحى الله اليه انى اريد قبض روحك فاعرض ملكك على بنى اسرائيل فمن تكفل انه يصلى الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام شاب فقال انا اتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال انى استخلف رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى انظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل منى ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال انا فاستخلفه فأتاه ابليس فى صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار الا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال ان بينى وبين قوى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال اذا رحت فأتنى حتى آخذ حقك فانطلق وراح فكان فى مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وقال واخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح له وقال له الم اقل اذا قعدت فأتنى قال انهم اخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد قالوا نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا جلست فأتنى وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعن احدا يقرب هذا الباب حتى انام فانه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة نام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما اعياه نظر فرأى كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان الم آمرك قال اما من قبلى فلم تؤت فانظر من اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه فى البيت فقال اتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه فقال اعدو الله قال نعم اعييتنى وفعلت ما فعلت لاغضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به واختلف فى نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وادخلناهم فى رحمتنا) يعنى ما انعم به عليهم من النبوة وصيرهم اليه فى الجنة من الثواب (انهم من الصالحين) * قوله عز وجل (وذا النون) اى واذكر صاحب الحوت اضيف الى الحوت لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى (اذ ذهب مغاضبا) قال ابن

عباس

ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى) اذ فى التجرد عن ملابسة المواد فى العالم الروحانى لا يمكن تزاحم الاضداد ولا يكون التحيل المؤدى الى الفساد بل تلتذ النفس بحصول المراد آمنة من الفناء والفساد (وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) بالتوجه الى العالم السفلى بالميل الغريزى ضاقت معيشته لغلبة شحه وشدة بخله فان المعرض عن جناب الحق ركدت نفسه وانجذبت الى الزخارف الدنيوية والمقتنيات المادية لمناسبتها اياها واشتد حرصه وكلبه عليها ونهمه وشغفه بها لقوة محبته اياها للجنسية والاشتراك فى الظلمة والميل

عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى منهم سبطان ونصف فاوحى الله الى شعياء النبي ان سر الى حزقيل الملك وقل له وجه نبيا قويا فاني القى في قلوب اولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان في مملكته خمسة من الانبياء قال يونس انه قوى امين فدعا الملك يونس وأمره ان يخرج فقال يونس هل الله امرك باخراجي قال لا قال فهل سماني الله لك قال لا قال فههنا غيرى انبياء اقوياء فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عنهم العذاب بعدما اوعدهم وكره ان يكون بين اظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما اوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم به فكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه انهم يقتلون من جربوا عليه الكذب فخشى ان يقتلوه مالم يأتهم العذاب للميعاد فذهب مغاضبا وقال ابن عباس اتى جبريل يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة قال الامر اعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة وقال وهب ان يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل اثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من يديه وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه الله من اولى العزم من الرسل وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال ولا تكن كصاحب الحوت وقوله ﴿ فظن ان لن نقدر عليه ﴾ اى ان لن نقضى عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقيل معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه فظن انه يعجزه فلا يقدر عليه قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة ابى الله ان يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه اربعين مابين يوم وليلة وقيل سبعة ايام وقيل ثلاثة وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت ﴿ فنادى في الظلمات ﴾ اى ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ﴿ ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ﴾ اى حيث عصيتك وما صنعت من شئ فلم اعبد غيرك فاخرجه الله من بطن الحوت برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا قال اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم اهوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ماهذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا يا ربنا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدى يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت فقذفه في الساحل فذلك قوله تعالى ﴿ فاستجبنا له ونجيناه من الغم ﴾ اى من تلك الظلمات ﴿ وكذلك ننجى المؤمنين ﴾ اى من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من اجاز وقوع الذنب من الانبياء منها قوله اذ ذهب مغاضبا ومنها فظن ان لن نقدر عليه ومنها قوله اني كنت من الظالمين قلت اما الجواب الكلى فقد اختلفوا في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة ام لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وارسلناه

الى الجهة السفلية فيشح بها عن نفسه وغيره وكلما استكثر منها ازداد حرصه عليها وشحه بها وذلك هو الضنك في المعيشة ولهذا قال بعض الصوفية لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وتشوش عليه رزقه بخلاف الذاكر المتوجه اليه فانه ذو يقين منه وتوكل عليه في سعة من عيشه ورغد ينفق ما يجد ويستغنى بربه عما يفقد (ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) الصغرى على عماه من نور الحق كقوله ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى وانكاره لعماه انما يكون باستان الاستعداد الاصلى والنور الفطرى المنافى لعماه من رسوخ هيئة الحب السفلى والعشق النفسى بالفسق الجرمى ونسيان الآيات البينات والانوار المشرقات الموجب لاعراضه تعالى عنه وتركه فيما هو فيه (وكذلك نجزى من اسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة اشد وابقى) من ضنك العيش في الدنيا لكونه روحانيا دائما

الى مائة الف او يزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعة كانت قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح واما الجواب التفصيلي لقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله على انه لقومه او للملك اولى بحال الانبياء واما قوله فظن ان لن نقدر عليه فقد تقدم معناه اى لن نضيق عليه وذلك ان يونس ظن انه مخير ان شاء اقام وان شاء خرج وان الله تعالى لايضيق عليه فى اختياره وقيل هو من القدر لامن القدرة واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع الشىء فى غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله اولدعائه بالعذاب على قومه وفى هذه الاشياء ترك الافضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ماتقدم من التفصيل والله اعلم ❊ قوله عز وجل (وزكريا اذ نادى ربه) اى دعا ربه فقال (رب لاتذرنى فردا) اى وحيدا لا ولد لى يساعدنى وارزقنى وارثا (وانت خير الوارثين) هو ثناء على الله بانه الباقى بعد فناء الخلق وانه الوارث لهم وهذا على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وانت خير الرازقين (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) اى ولدا (واصلحنا له زوجه) اى جعلناها ولودا بعدما كانت عقيما وقيل كانت سيئة الخلق فاصلحها الله تعالى له بأن رزقها حسن الخلق (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات) يعنى الانبياء المذكورين فى هذه السورة وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة فى الخيرات من اكبر مايمدح به المرء لانها تدل على حرص عظيم فى طاعة الله عز وجل (ويدعوننا رغبا ورهبا) يعنى انهم ضموا الى فعل الطاعة امرين احدهما الفزع الى الله لمكان الرغبة فى ثوابه والرهبة من عقابه والثانى الخشوع وهو قوله تعالى (وكانوا لنا خاشعين) الخشوع هو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذى لاينبسط فى الامور خوفا من الوقوع فى الاثم ❊ قوله تعالى (والتى احصنت فرجها) اى احصنته كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا وهى مريم بنت عمران (فنفخنا فيها من روحنا) امرنا جبريل حتى نفخ فى جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح فى بطنها واضاف الروح اليه تشريفا لعيسى كبيت الله وناقة الله (وجعلناها وابنها آية) اى دلالة (للعالمين) على كمال قدرتنا على خلق ولد من غير أب فان قلت هما آيتان فكيف قال آية قلت معنى الكلام وجعلنا شأنهما وامرهما آية واحدة اى ولادتها اياه من غير أب آية ❊ قوله تعالى (ان هذه امتكم) اى ملتكم ودينكم (امة واحدة) اى دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ماسوى الاسلام من الاديان والامة الجماعة التى هى على مقصد واحد وجعلت الشريعة امة لاجتماع اهلها على مقصد واحد (وانا ربكم فاعبدون) اى لادين سوى دينى ولارب لكم غيرى فاعبدونى اى وحدونى (وتقطعوا امرهم بينهم) اى اختلفوا فى الدين فصاروا فرقا واحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرأ بعضهم من بعض (كل الينا راجعون) فنجزيهم باعمالهم (فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه) اى لايجحد ولايبطل سعيه بل يشكر ويثاب عليه (وانا له كاتبون) اى لعمله وحافظون له وقيل الشكر من الله المجازاة والكفران ترك المجازاة ❊ قوله عز وجل (وحرام على قرية اهلكناها انهم لايرجعون) قال ابن

(افلم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى) اى قضاء سابق ان لا يستأصل هذه الامة بالدمار والعذاب فى الدنيا لكون نبيهم نبى الرحمة وقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم لكان الاهلاك لازما لهم (فاصبر) بالله (على مايقولون) فانك تراهم جارين على ماقضى الله عليهم مأسورين فى اسر قهره ومكره بهم (وسبح بحمد ربك) اى نزه ذاتك بتجريدها عن صفاتها متلبسا الصفات ربك فان ظهورها عليك هو الحمد الحقيقى (قبل طلوع الشمس) شمس الذات حال الفناء (وقبل غروبها) باستتارها عند ظهور صفات النفس اى فى مقام القلب حال تجلى الصفات فان تسبيح الله هنالك محو صفات القلب (ومن آناء الليل) اى اوقات غلبات صفات النفس المظلمة والتلوينات الحاجبة (فسبح) بالتزكية (واطراف النهار) نهار اشراق الروح على القلب

عباس

عباس معناه وحرام على اهل قرية اهلكناهم ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه وحرام على اهل قرية حكمنا بهلاكهم ان نقبل اعمالهم لانهم لايتوبون ❊ قوله عز وجل (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه اخبر عن يأجوج ومأجوج وهما قبيلتان يقال انهما تسعة اعشار بني آدم (وهم من كل حدب ينسلون) اى يسرعون النزول من الآكام والتلال وفي هذه الكناية وجهان احدهما ان المراد بهم يأجوج ومأجوج وهو الاصح بدليل ماروى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظننا انه فى طائفة النخل فلما رحنا اليه عرف ذلك فينا فقال ماشأنكم قلنا يارسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفنى عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيج نفسه والله خليفتى على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافئة كانى اشبهه بعبد العزى بن قطن فمن ادركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يمينا وعاث شمالا ياعباد الله فاثبتوا قلنا يارسول الله ومالبثه فى الارض قال اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لااقدروا له قدره قلنا يارسول الله ومااسراعه فى الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شئ من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ رأسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الامات ونفسه ينتهى الى حيث ينتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتى عيسى عليه السلام الى قوم قد عصمهم الله منه فيمسح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم فى الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى عليه السلام انى قد اخرجت عبادا لى لايدان لاحد ان يقاتلهم فحرز عبادى الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر نبى الله عيسى واصحابه حتى يكون رأس الثور لاحدهم خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبى الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله عليهم النغف فى رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبى الله عيسى واصحابه الى الارض فلايجدون فى الارض موضع شبر الاملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبى الله عيسى واصحابه الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لايكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتى ثمرتك وردى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك فى الرسل حتى ان اللقحة

بالتصفية (لعلك ترضى) تصل الى مقام الرضا الذى هو كمال مقام تجلى الصفات وغايته (ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) فى التلوينات النفسية وظهور النفس بالميل الى الزخارف الدنيوية فانها صور ابتلاء اهل الدنيا (ورزق ربك) من الحقائق والمعارف الاخروية والانوار الروحانية (خير وابقى) افضل وادوم (وأمر اهلك بالصلوة) القوى الروحانية والنفسانية بصلاة الحضور والمراقبة والانقياد والمطاوعة (واصطبر عليها) على تلك الحالة بالمجاهدة والمكاشفة (لانسألك) لانطلب منك (رزقا) من الجهة السفلية كالكمالات الحسية والمدركات القسية (نحن نرزقك) من الجهة العلوية المعارف الروحانية والحقائق القدسية (والعاقبة للتقوى) التى تعتبر وتتأهل ان تسمى عاقبة للتجرد عن الملابس البدنية والهيئات النفسانية (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه اولم تأتهم بينة مافى الصحف الاولى ولو انا اهلكناهم

من الابل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس فبينماهم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم ﴿ شرح غريب الفاظ الحديث ﴾ قوله حتى ظنناه فى طائفة النخل اى ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشئ وقوله فخفض فيه ورفع اى خفض صوته ورفعه من شدة ما تكلم به فى امره وقيل انه خفض من امره تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من امره قوله انه شاب قطط اى جعد الشعر وقوله طافئة اى خارجة عن حدها قوله انه خارج خلة اى انه يخرج قصدا وطريقا بين جهتين والخلل الدخول فى الشئ قوله فعاث اى افسد قوله اقدروا له قدره اى قدر واقدر يوم من ايامكم المعهودة وصلوا فيه بقدر اوقاته وقوله فتروح عليهم سارحتهم اى مواشيهم وقوله فيصبحون ممحلين اى مقحطين قد اجدبت ارضهم وغلت اسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية الغرض اى قطعتين والغرض الهدف الذى يرمى بالنشاب قوله بين مهرودتين رويت بالدال المهملة وبالمعجمة اى شقتين وقيل حلتين وقيل المهرود الصبغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم اى لاقدرة ولاقوة لاحد بقتالهم والنغف دود يكون فى انوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم اى ريحهم المنتنة قوله كالزلفة اى كالمرآة وجمعها زلف وروى بالقاف واراد به استواءها ونظافتها قوله تأكل العصابة اى الجماعة قيل يبلغون اربعين وقحف الرمانة فى الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون اى يختلفون والتهارج الاختلاف واصله القتل ﴿ الوجه الثانى ﴾ فى تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قيل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موقف الحساب (م) عن حذيفة بن اسيد الغفارى قال اطلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ماتذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم * قوله عزوجل (واقترب الوعد الحق) اى القيامة قال حذيفة لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر (فاذاهى شاخصة ابصار الذين كفروا) قيل معنى الآية ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال ولاتكاد تطرف من هول ذلك اليوم ويقولون (ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا) يعنى فى الدنيا حيث كذبنا به وقلنا انه غير كائن (بل كنا ظالمين) اى فى وضعنا العبادة فى غير موضعها * قوله عزوجل (انكم) الخطاب للمشركين (وماتعبدون من دون الله) يعنى الاصنام (حصب جهنم) اى حطبها ووقودها وقيل يرمى بهم فى النار كما يرمى بالحصباء واصل الحصب الرمى (انتم لها واردون) اى فيها داخلون (لوكان هؤلاء) يعنى الاصنام (آلهة) اى على الحقيقة (ماوردوها) اى مادخل الاصنام النار

بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى قل كل متربص فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوى ومن اهتدى) من الحقائق والحكم والمعارف اليقينية الثابتة فى الالواح السماوية والارواح العلوية والله تعالى اعلم ﴿ سورة الانبياء ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اقترب للناس حسابهم) فى القيامة الصغرى بل لو عرفوا القيامة لعاينوا حسابهم الآن (وهم فى غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث الا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم واسروا النجوى الذين ظلموا هل هذا الا بشر مثلكم افتأتون السحر وانتم تبصرون قال ربى يعلم القول فى السماء والارض وهو السميع العليم بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما ارسل الاولون ما آمنت قبلهم من قرية اهلكناها افهم يؤمنون وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وما جعلناهم

وعابدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدين والمعبودين (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو ان يملاء الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ماينالهم من العذاب (وهم فيها لايسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخر ثم تلك التوابيت في توابيت اخر عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيأ ولايرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره * قوله تعالى (ان الذين سبقت لهم منا الحسنى) قال العلماء ان هنا بمعنى الا اى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (اولئك عنها) اى عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبقت له من الله السعادة وقيل اكثر المفسرين عنى بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليه انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فاقبل عبدالله بن الزبعرى السهمي فاخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبعرى انت قلت انكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة اولئك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعرى ماضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون وزعم جماعة ان المراد من الآية الاولى الاصنام لان الله تعالى قال انكم وماتعبدون من دون الله ولو اراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان لان من لمن يعقل وما لمن لايعقل (لا يسمعون حسيسها) يعني صوتها وحركة تلهبها اذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيما اشتهت انفسهم) اى من النعيم والكرامة (خالدون) اى مقيمون * قوله تعالى (لايحزنهم الفزع الاكبر) قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا اهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد ان يخرج الله منها من يريد ان يخرجه (وتتلقاهم الملائكة) اى تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنؤنهم ويقولون (هذا يومكم الذى كنتم توعدون) اى في الدنيا * قوله عز وجل (يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطى هو الدرج الذى هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب اعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوى السماء كما يطوى السجل الطومار الذى يكتب فيه والتقدير لايحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم (كما بدأنا اول خلق نعيده) اى كما بدأناهم في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا اول خلق نعيده قوله غرلا اى قلفا * وقوله تعالى (وعدا علينا انا كنا فاعلين) يعني الاعادة والبعث بعد الموت * قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور

جسدا لايأكلون الطعام وما كانوا خالدين ثم صدقناهم الوعد فانجيناهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلاتعقلون وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وانشأنا بعدها قوما آخرين فلما احسوا بأسنا اذاهم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى مااترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا ياويلنا انا كنا ظالمين فمازالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين وماخلقنا السماء والارض ومابينهما لاعبين لواردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين) اى لواردنا ان نتخذ موجودات تحدث وتفنى كما قيل تموت وتحيي ومايهلكنا الا الدهر لاتخذناه من لدنا من جهة القدرة لكنه ينافي الحكمة والحقيقة فلانتخذها (بل نقذف بالحق على الباطل) باليقين البرهاني والكشفي على الاعتقاد الباطل (فيدمغه) فيقمعه (فاذاهو زاهق) زائل (ولكم الويل) الهلاك (مماتصفون) من عدم الحشر او نقذف بالتجلي الذاتي في القيامة الكبرى

من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الانبياء والذكر هو ام الكتاب الذى عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر اى بعدما كتب فى اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعدها بمعنى قبل (ان الارض يرثها عبادى الصالحون) يعنى ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب فى اللوح المحفوظ فى كتب الانبياء ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس اراد ان اراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين وقيل اراد الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (ان فى هذا) اى فى القرآن (لبلاغا) اى وصولا الى البغية يعنى من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل الى ما يرجو من الثواب وقيل البلاغ الكفاية اى فيه كفاية لما فيه من الاخبار والوعد والوعيد والمواعظ البالغة فهو زاد العباد الى الجنة وهو قوله تعالى (لقوم عابدين) اى مؤمنين لايعبدون احدا من دون الله تعالى وقيل هم امة محمد صلى الله عليه وسلم اهل الصلوات الخمس وشهر رمضان والحج وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العاملون العاملون * قوله عزوجل (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلال واهل الكتابين كانوا فى حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف فى كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وبين الحلال من الحرام قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعنى المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس هو عام فى حق من آمن ومن لم يؤمن فمن آمن فهو رحمة له فى الدنيا والاخرة ومن لم يؤمن فهو رحمة له فى الدنيا بتأخير العذاب عنه ورفع المسخ والخسف والاستئصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة (قل انما يوحى الى انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون) اى منقادون لما يوحى الى من اخلاص الالهية والتوحيد لله والمراد بهذا الاستفهام الامر اى اسلموا (فان تولوا) اى اعرضوا ولم يسلموا (فقل آذنتكم) اى اعلمتكم بالحرب وان لاصلح بيننا (على سواء) اى انذارا بينا نستوى فى علمه لااستبدانا به دونكم لتتأهبوا لما يراد بكم والمعنى آذنتكم على وجه نستوى نحن وانتم فى العلم به وقيل معناه لتستووا فى الايمان به واعلمتكم بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره (وان ادرى) اى وما اعلم (اقريب ام بعيد ماتوعدون) يعنى يوم القيامة لايعلمه الا الله (انه يعلم الجهر من القول ويعلم ماتكتمون) اى لايغيب عن علمه شئ منكم فى علانيتكم وسركم (وان ادرى لعله فتنة لكم) اى لعل تأخير العذاب عنكم اختبار لكم ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم بكم (ومتاع الى حين) اى تتمتعون الى انقضاء آجالكم (قل رب احكم) اى افصل بينى وبين من كذبنى (بالحق) اى بالعذاب كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر وقيل معناه افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرنى عليهم والله يحكم بالحق طلب اولم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب (وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون) اى من الشرك والكفر والكذب والاباطيل كأنه سبحانه وتعالى قال قل داعيا لى رب احكم بالحق وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ماتصفون والله اعلم بمراده واسرار كتابه

الذى هو الحق الثابت الغير المتغير على باطل هذه الموجودات الفانية فيقهره ويجعله لاشيأ محضا فاذا هو فانصرف فيظهر ان الكل حق وامره جدلا باطل ولالهو وحكم الهلاك والفناء الصرف عما تصفون من اثبات وجود الغير واتصافه بصفة وفعل وتأثير (وله من فى السموات والارض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولايستحسرون يسبحون الليل والنهار لايفترون ام اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لوكان فيهما آلهة الا الله لفسدتا) لان الوحدة موجبة لبقاء الاشياء والكثرة موجبة لفسادها الاترى ان كل شئ له خاصية واحدة يمتاز بها عن غيره هو بها هو ولولم تكن لم يوجد ذلك الشئ وهى الشاهدة بوحدانيته تعالى كما قيل ففى كل شئ له آية تدل على انه الواحد والعدل الذى قامت به السموات والارض هو ظل الوحدة فى عالم الكثرة ولولم يوجد هيئة وحدانية فى المركبات كاعتدال المزاج لما وجدت ولوزالت تلك الهيئة لفسدت